مواجهة الخطر الديمغرافي. واستخلص من ذلك ان بامكان الهجرة اليهودية، وخاصة من الاتحاد السوفياتي التي توقع زيادتها، ان تلعب دوراً جوهرياً في حل المشكلة الديمغرافية التي تواجهها اسرائيل جرّاء احتلالها الضفة والقطاع، لصالح اليهود(٦٠). ثم انطلق الى معالجة الفجوة ما بين التكاثر الطبيعي بين العرب واليهود ووصفها بأنها «حقيقة مقلقة». فالتكاثر الطبيعي لدى العرب في البلاد يبلغ ثلاثة اضعافه عند اليهود الاسرائيليين. وعلّق هلر على ذلك قائلاً، ان هذا الامر ليس «قانوناً ثابتاً»، وتوقّع ان يتناقص تكاثر العرب الطبيعي نتيجة العوامل الاقتصادية والاجتماعية؛ ثم اشار الى ان الهجرة العربية من الضفة والقطاع تحدّ من تكاثر العرب، وبالتالي تحسّن الميزان الديمغرافي لصالح اليهود؛ وراهن على ان هذا النمط من الهجرة العربية الى الخارج سيستمر في المستقبل ايضاً(٦١).

حزب العمل يتخبّط في الحلول

في الوقت الذي ثابر دعاة الضمّ والطرد على التبشير لافكارهم وبثّها في الجمهور الاسرائيلي دون لبس او غموض، مستندين، في دعواهم، الى القوة الاسرائيلية، اصاب الارتباك والتخبّط قادة حزب العمل؛ ذلك ان نزعة التوسّع وشهيّة الضمّ والسعي الى التخلص من الفلسطينيين جذبتهم، في كثير من الاحيان، بعيداً حتى من برنامجهم السياسي الرسمي المعلن، والذي يطالب بحل اقليمي وسط. ففي بداية العام ١٩٧٣، اعلن اسحق رابين ان «مشكلة اللاجئين في قطاع غزة ينبغي الّا تحلّ في قطاع غزة، او في العريش، بل في الضفة الشرقية». واضاف انه يسعى الى التخلص من اللاجئين الفلسطينيين في الضفة الفلسطينية ويعمل على نقل السكان العرب، ليس باستخدام القوّة، وانما بتوفير شروط تكفل تحركاً سكانياً طبيعياً الى الضفة الشرقية خلال العشرة الى العشرين سنة المقبلة»(٦٢).

ومن المرجّح ان تصريحات رابين، الذي اخذ يلبس جلد الاسد، منذ حرب العام ١٩٦٧، بعد ان اصيب بانهيار عصبي عشية تلك الحرب، تلك التصريحات التي كان هدفها خدمة المشروع الصهيوني، من ناحية، وتعزيز مكانة حزبه في اوساط الجمهور الاسرائيلي، من ناحية اخرى، لم تقدّم خدمات كثيرة الى حزبه بقدر ما اثارت البلبلة حول مواقف الحزب الحقيقية تجاه المسألة الديمغرافية. فتارة يدعو الى حل اقليمي وسط، للتخلص من الازمة الديمغرافية، وطوراً يعلن عن عزمه على نقل اللاجئين، والفلسطينيين عموماً، الى الاردن.

قادت المواقف المتناقضة هذه الناخب الاسرائيلي الى التساؤل: اذا كان حزب العمل يسعى الى نقل الفلسطينيين الى الاردن، فما الحاجة، اذاً، الى حل اقليمي وسط والتنازل عن اجزاء من «ارض ـ اسرائيل» بعد طرد العرب منها ؟ ماذا يريد حزب العمل حقاً ؟ هل يريد التنازل عن المناطق المكتظة بالسكان، ام طرد الفلسطينيين من المناطق المكتظة، وغير المكتظة، بالسكان ؟

على ارضية فشل القيادة الاسرائيلية في ايجاد حل للمعضلة التي واجهتها اسرائيل منذ احتلال الضفة والقطاع، وفي ضوء تكاثر الفلسطينيين ومواصلة الرسميين الاسرائيليين الاعلان عن سعيهم، بين الفينة والاخرى، تلميحاً او تصريحاً، الى طرد الفلسطينيين، ظهرت في اسرائيل، في بداية السبعينات، حركة يهودية ـ صهيونية لم تشغل فكرها كثيراً في ابداع نظرية تعالج المعضلة، وانما استوردتها جاهزة من اواسط اوروبا. وكان جلّ ما فعلته انها غيرت اسم الضحية من «يهودي» الى «فلسطيني». وعلى الرغم من ان حركة كاخ، هكذا، لم تتبدع نظرية، فانها ملأت اسرائيل والدنيا صراخاً تحذّر من خطر مجرّد ميلاد طفل فلسطيني، وخطر مجرّد وجود العرب الفلسطينيين، الذين يعيشون في وطنهم وتحت الاحتلال والحكم الاسرائيلي، على اسرائيل، تماماً كما كانت تفعل الجماعات